اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالتِّسْعُونَ

1 رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً. رَنِّمِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. 2رَنِّمُوا لِلرَّبِّ، بَارِكُوا اسْمَهُ، بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلاَصِهِ. 3حَدِّثُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ. 4لأَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ وَحَمِيدٌ جِدّاً. مَهُوبٌ هُوَ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ. 5لأَنَّ كُلَّ آلِهَةِ الشُّعُوبِ أَصْنَامٌ، أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ صَنَعَ السَّمَاوَاتِ. 6مَجْدٌ وَجَلاَلٌ قُدَّامَهُ. الْعِزُّ وَالْجَمَالُ فِي مَقْدِسِهِ.

7قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا قَبَائِلَ الشُّعُوبِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَقُوَّةً. 8قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. هَاتُوا تَقْدِمَةً وَادْخُلُوا دِيَارَهُ. 9اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ. ارْتَعِدِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الأَرْضِ. 10قُولُوا بَيْنَ الأُمَمِ: «الرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. أَيْضاً تَثَبَّتَتِ الْمَسْكُونَةُ فَلاَ تَتَزَعْزَعُ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ». 11لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ، وَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ. لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ. 12لِيَجْذَلِ الْحَقْلُ وَكُلُّ مَا فِيهِ. لِتَتَرَنَّمْ حِينَئِذٍ كُلُّ أَشْجَارِ الْوَعْرِ 13أَمَامَ الرَّبِّ لأَنَّهُ جَاءَ. جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، وَالشُّعُوبَ بِأَمَانَتِهِ.

العز والجمال في مقدسه

هذا المزمور أحد مزامير تسبيح الله الملك (مزامير 95–100)، وكان يُرنَّم استجابة للدعوة الواردة في مطلع المزمور السابق: «هلم نرنم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا». وقد ذكرت الترجمة السبعينية في مطلع مزمورنا أنه لداود. والأغلب أن داود كتبه بمناسبة نقل التابوت إلى الخيمة التي بناها له في أورشليم (كما ورد المزمور في 1أي 16: 8–33)، ورنمه آساف وإخوته، ثم أُدخلت عليه بعض التعديلات ليصبح مناسباً لكل عبادة جمهورية، على الصورة الواردة في مزمورنا. وقد استنتج بعض المفسرين أن إدخال هذه التعديلات كان بمناسبة تدشين بناء الهيكل بعد الرجوع من سبي بابل عام 516 ق م، لأن الترجمة السبعينية أوردت في مطلع مزمور 95 (أول مزامير تسبيح الله الملك) القول: «لما بُني البيت بعد السبي».

ولما كان الله هو الملك فلا بد أن يمتد ملكه على كل المسكونة، وتدخل كل الأمم دياره، في زينة مقدسة، تحمل تقدمةً، وتسبح جميع الشعوب، وتفرح السماوات، وتبتهج الأرض والبحر والحقل والأشجار، لأن «الرب قد ملك. أيضاً تثبَّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – تمجيد الله في كل الأرض (آيات 1–3)

ثانياً – تمجيد الله المهوب (آيات 4–6)

ثالثاً – تمجيد الله في دياره (آيات 7–9)

رابعاً – تمجيد الله الملك (آيات 10–12)

أولاً ـ تمجيد الله في كل الأرض
(آيات 1-3)

1 – تمجيده بترنيمة جديدة: «رنموا للرب ترنيمة جديدة. رنمي للرب يا كل الأرض» (آية 1). تدعونا مراحم الله الجديدة إلى التسبيح بترنيمة جديدة. وهي دعوة مقدسة لكل سكان الأرض ليفكروا في البركات الإلهية بصورة مستمرة، كما أمر الرب: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحهُ من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر» (إش 42: 10–12). فهو يدعو قيدار، ابن إسماعيل الثاني، ويدعو سالع أحصن حصون أدوم التي يسكنها نسل عيسو، كما يدعو سكان الجزائر البعيدة للترنيم والهتاف والتبشير بمجد الرب «خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً» (إش 42: 5). فهو صاحب الفضل في حياتهم الجسدية والروحية لأنه مانح الحياة ومجدد الصحة، الذي يعطي للمعيي قوة ولعديم القدرة يكثر شدة، المعطي خبزاً للجياع، وإليه يرجع الفضل في كل نجاح، لأنه بمهارة يديه يقود ويهدي. له نهتف مع موسى: «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر 15: 1)، ومع دبورة وباراق: «أنا للرب أترنم. أزمر للرب إله إسرائيل» (قض 5: 3). وقد منحنا نعمة الخلاص المجانية، وأنقذنا من عبودية الخطية، وأطلقنا أحراراً. فهو يستحق أن نسبحه كل يوم جديد لأن مراحمه جديدة كل صباح. وعندما نرنم تتقشع الغيوم ونرتفع فوق عثرات الطريق ولا تعود

الأشواك تدمي أقدامنا لأن أنظارنا مثبتة على إله العناية. «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب 4: 16).

2 – تمجيده بالتبشير بخلاصه: «رنموا للرب. باركوا اسمه. بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه» (آية 2). الخلاص بمعناه الواسع هو خلاص من المرض، ومن الجوع، ومن ويلات الحروب، ومن الخطية، بفضل فداء المسيح الذي بشر الملاك بمولده قائلاً: «ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلِّص هو المسيح الرب» (لو 2: 10، 11). فلنرنم له ونبارك اسمه ونتحدَّث عن خلاصه الكامل، هاتفين: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف 1: 3)، و«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات» (1بط 1: 3، 4). فلنرفع تسبيحنا: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز 103: 1، 2). ولنبشر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب وجعلنا أبناء وورثة لملكوته، ولننشر بشارة الإنجيل المفرحة لأنه «قوة الله للخلاص لكل من يؤمن.. لأن فيه معلن بر الله بإيمان» (رو 1: 16، 17). وهو البشارة المفرحة المعلنة من الرب الذي «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (1تي 2: 4–6)، وليكن شعارنا: «إن كنت أبشر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة عليَّ. فويل لي إن كنت لا أبشر» (1كو 9: 16). ولنُطع أمر المسيح: «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر 5: 19).

3 – تمجيده بالحديث عن معجزاته: «حدثوا بين الأمم بمجده، بين جميع الشعوب بعجائبه» (آية 3). لا شك أن المرنم كان يذكر معجزة الخروج، ومعجزة العودة من سبي بابل، والتي كانوا يسمونها «الخروج الثاني» وقد صاحبت الخروجين معجزات وعجائب. واليوم نشكر الله على خروج روحي هو إنقاذنا من مذلَّة خطايانا بالغفران والتقديس، وهموم متاعبنا المادية.. وكلها عجائب ومعجزات. وتحيط بنا الآن معجزات الرب اليومية، وهي مذهلة لا نستطيع أن نتمتع بها صامتين، فنتحدث عنها بين الأمم ولجميع الشعوب، ونهتف: «ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جداً أفكارك.. عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقيناً.. أحمد الرب بكل قلبي. أحدِّث بجميع عجائبك» (مز 92: 5، 139: 14، 9: 1).

ثانياً _ تمجيد الله المهوب
(آيات 4-6)

1 – تمجيده لأنه الخالق المهوب: «لأن الرب عظيم وحميد جداً. مهوب هو على كل الآلهة. لأن كل آلهة الشعوب أصنام، أما الرب فقد صنع السموات» (آيتا 4، 5). «الرب إلهك في وسطك إلهٌ عظيم ومخوف.. الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيب» (تث 7: 21، 10: 17). هو الرب العظيم جداً في قدرته، والحميد جداً في محبته. عظيم وحميد في غفرانه وخلاصه وشفائه وأعماله وحكمته وجوده وسخائه «لا مثل لك يا رب. عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت.. في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك. أما الرب الإله فحق. هو إله حي وملك أبدي» (إر 10: 6، 7، 10). كل أعماله صالحة، وإحساناته وافرة، ومراحمه عجيبة تستحق كل شكرنا «نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب. يحدثون بعجائبك» (مز 75: 1). هو المقتدر الفعال المهوب، الذي يأمر فيصير. رأفته على خائفيه كثيرة جداً ومحبته واسعة جداً وليس لعلمه استقصاء «عند الله جلال مرهب. القدير لا ندركه. عظيم القوة والحق وكثير البر.. لذلك فلتخفه الناس» (أي 37: 22–24).

ومن المؤسف أن هناك شعوباً عبدت الأصنام الباطلة من خشب وحجارة وذهب وفضة. واليوم، نسي بعض الناس الرب، وعبدوا المال أو السلطان أو الشهوات «وإن وُجد ما يسمى آلهة، سواءٌ كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إلهٌ واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء ونحن به» (1كو 8: 5، 6).

2 – تمجيده لأنه الخالق الجليل: «مجد وجلال قدامه. العز والجمال في مقدسه» (آية 6). في برية سيناء كان المجد والجلال يتقدمان شعب الرب، في عمود سحاب نهاراً ليحميهم من حرارة الشمس، وعمود نار ليلاً ليضيء لهم الطريق ويرهب وحوش البرية. «وكان عمود السحاب، إذا دخل موسى الخيمة، ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى.. فقال: أرني مجدك. فقال: أجيز كل جودتي قدامك» (خر 33: 9، 18، 19). أما في مقدسه فكل العز «طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في

قلوبهم» (مز 84: 5)، وفيه كمال الجمال الذي يغيِّر ويصيِّر كل من يتمتع به إلى صورة مجيدة، كما حدث مع موسى لما قضى في حضرته المقدسة أربعين نهاراً وأربعين ليلة. وعند نزوله من الجبل كان جلد وجهه يلمع، وهو لا يعلم (خر 34: 28، 29). وفي مقدس الرب يتجدد الإنسان وينال الخلاص «لأن الرب راضٍ عن شعبه. يجمِّل الودعاء بالخلاص» (مز 149: 4). فيردد المؤمن مع داود: «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله» (مز 27: 4).

ثالثاً _ تمجيد الله في دياره
(آيات 7-9)

تحتوي هذه الآيات الثلاث على ثلاثة أوامر، أولها تكرر ثلاث مرات: «قدموا.. قدموا.. قدموا.. هاتوا.. اسجدوا».

1 – تمجيده بتقديم المجد له: «قدموا للرب يا قبائل الشعوب، قدموا للرب مجداً وقوة. قدموا للرب مجد اسمه» (آيتا 7، 8أ). «قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب مجداً وعزاً. قدموا للرب مجد اسمه. اسجدوا للرب في زينة مقدسة» (مز 29: 1، 2)، ولتنادِ كل أمم العالم، وأصحاب القوة والجاه، أن للرب كل المجد وكل القوة، لأنه المجيد القوي، ونحن مديونون أن نعترف علناً بهذه الحقيقة أمام كل العالم، ونمارس هذا الاعتراف عملياً بأن نخضع له ونكون آلات مقدسة في يده، مستعدين أن نحقق مقاصده.

2 – تمجيده بتقديم التقدمات له: «هاتوا تقدمة وادخلوا دياره» (آية 8ب). أمر الوحي: «لا يحضروا أمام الرب فارغين. كل واحد حسبما تعطي يده، كبركة الرب إلهك التي أعطاك» (تث 16: 16، 17). والتقدمة التي ندخل بها دياره هي عبادتنا وعشورنا وتسبيحنا، وهو القائل: «من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم، قال رب الجنود» (ملا 1: 11). كل ما عندنا عطية منه، وهو يعطي الجميع بسخاء ولا يعيِّر، فمن يده نعطيه (1أي 29: 14)، وأمرنا المسيح: «أعطوا تُعطوا، كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم، لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم» (لو 6: 38). ومع أن الوحي يقول: «لا تجربوا الرب إلهكم» (تث 6: 16)، إلا أنه يقول: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام، وجربوني بهذا قال رب الجنود، إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسَع» (ملا 3: 10).

3 – تمجيده بتقديم السجود له: «اسجدوا للرب في زينة مقدسة. ارتعدي قدامه يا كل الأرض» (آية 9). أمر الرب موسى أن يصنع ثياباً مقدسة لهارون، للمجد والبهاء، يلبسها أثناء خدمته للرب (خر 28: 2)، فعلى شعب الرب أن يمثلوا في حضرته بلباس التقوى والقداسة، خاشعين أمامه ساجدين له، لأنه «مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (لو 4: 8). ولا تكن زينتنا الزينة الخارجية من ثياب وعطور «بل إنسان القلب الخفي، في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن» (1بط 3: 4). وبدون القداسة لن يعاين أحدٌ الرب (عب 12: 14) الذي يدير أعظم معهد تجميل، فهو يجمِّل شفاهنا بالكلمات النافعة للبنيان، ويجمِّل عيوننا بالنظر إليه، ويجمِّل أيدينا بخدمة الآخرين. فلنأت إليه بتواضع ليجملنا بالحق ويقدسنا بالبر «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه. فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين.. تواضعاً ووداعة» (كو 3: 9، 10، 12). وفي حضرة الرب العظيم ترتعد كل الأرض خشية وعبادة لأن «الرب في هيكل قدسه. فاسكتي قدامه يا كل الأرض» (حب 2: 20).

رابعاً _ تمجيد الله الملك
(آيات 10-13)

1 – الملك الذي يُطمئن: «قولوا بين الأمم: الرب قد ملك. أيضاً تثبَّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة» (آية 10). ليس الرب ملك شعب، لكنه الملك الأعظم لخليقته كلها. ولما كان هو الملك فإنه ينصر العدل فيسود الاستقرار وتتثبت المسكونة فلا تتزعزع. الظلم يقلب الأوضاع، ويجعل الظالم والمظلوم متقلقلين في أفكارهما وأفعالهما. وكثيراً ما ييأس المظلوم

فيمارس الظلم، أما الرب فيعطي الثبات والدوام للعدالة لأنه إله العدل، وهو يعلمنا: «لا تضلوا. الله لا يُشمخ عليه، فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل 6: 7). «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل» (إش 26: 9). فليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، فيضعف عمل إبليس الذي يريد أن يغربل المسكونة ويزعزع استقرارها بالظلم والجشع ورعب الحروب.

2 – الملك الذي يُفرِّح: «لتفرح السموات ولتبتهج الأرض. ليعج البحر وملؤه. ليجذَل الحقل وكل ما فيه. لتترنم حينئذ كل أشجار الوعر أمام الرب لأنه جاء. جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته» (آيات 11–13). وقد تحققت هذه النبوَّة جزئياً في مولد المسيح من العذراء القديسة مريم كما تنبأ إشعياء: «يخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله.. يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقويه» (إش 11: 1–5)، وستتحقق بكمالها عند إعلان مُلكه السعيد، عندما يأتي ثانية ليدين المسكونة بالعدل، ويجازي كل واحد بحسب عمله، و«بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر» (2بط 3: 13).. أما الآن فإننا نسمع كل الخليقة تئن وتتوجع بسبب الخطية ونتائجها، لأنها أُخضِعت للبُطل لما لُعنت فأثمرت شوكاً وحسكاً (تك 3: 18)، وتدنَّست الأرض تحت سكانها لأنهم تعدّوا الشرائع (إش 24: 5)، وهي تتوقع إعلان حق الله ومجيء المسيح للدينونة ليعتقها من عبودية الفساد. وحتى الذين قبلوا المسيح مخلِّصاً يئنون اليوم في أنفسهم متوقِّعين ثمار تبني الله لهم، ومنها كمال فداء أجسادهم عندما يغيِّر شكل جسد تواضعهم ليكون على صورة جسد مجده (في 3: 21). ويعين الروح القدس ضعفات المؤمنين ويعلمهم كيف يصلّون حتى في أنينهم الذي يعبِّر عن آلامهم بدون كلمات مسموعة (رو 8: 20–26). وعندما يجيء المسيح ثانية تستطيع الخليقة كلها أن تطيع الأمر: «ترنمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي ترنماً، الوعر وكل شجرة فيه، لأن الرب قد فدى يعقوب وفي إسرائيل تمجد» (إش 44: 23).

«رنموا للرب ترنيمة جديدة. رنمي للرب يا كل الأرض».

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ

1 اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ، فَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ، وَلْتَفْرَحِ الْجَزَائِرُ الْكَثِيرَةُ. 2السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ. الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ. 3قُدَّامَهُ تَذْهَبُ نَارٌ وَتُحْرِقُ أَعْدَاءَهُ حَوْلَهُ. 4أَضَاءَتْ بُرُوقُهُ الْمَسْكُونَةَ. رَأَتِ الأَرْضُ وَارْتَعَدَتْ. 5ذَابَتِ الْجِبَالُ مِثْلَ الشَّمْعِ قُدَّامَ الرَّبِّ، قُدَّامَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا. 6أَخْبَرَتِ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، وَرَأَى جَمِيعُ الشُّعُوبِ مَجْدَهُ.

7يَخْزَى كُلُّ عَابِدِي تِمْثَالٍ مَنْحُوتٍ، الْمُفْتَخِرِينَ بِالأَصْنَامِ. اسْجُدُوا لَهُ يَا جَمِيعَ الآلِهَةِ. 8سَمِعَتْ صِهْيَوْنُ فَفَرِحَتْ، وَابْتَهَجَتْ بَنَاتُ يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ أَحْكَامِكَ يَا رَبُّ. 9لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِيٌّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. عَلَوْتَ جِدّاً عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ.

10يَا مُحِبِّي الرَّبِّ، أَبْغِضُوا الشَّرَّ. هُوَ حَافِظٌ نُفُوسَ أَتْقِيَائِهِ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ يُنْقِذُهُمْ. 11نُورٌ قَدْ زُرِعَ لِلصِّدِّيقِ، وَفَرَحٌ لِلْمُسْتَقِيمِي الْقَلْبِ. 12افْرَحُوا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ بِالرَّبِّ، وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ.

نور زُرع للصدِّيق

هذا أحد مزامير تسبيح الله الملك (مزامير 95–100). «الرب قد ملك» فأعلن أنه الجالس على عرش القضاء يذري بعينه كل شر (أم 20: 8)، فتفرح المسكونة لأن سيدها ووليها سيثبت حقه وعدله في كل الأرض. وما أجمل أن يرفع الأتقياء عيونهم إلى أعلى، فيشرق نوره وبهاؤه على وجوههم وتمتلئ نفوسهم فرحاً وتشدو ألسنتهم ترنماً لرب الكون الصالح العظيم المحب، الذي يستحق أن نعبده بكل القلب والنفس والفكر والقدرة، وأن نتبعه في ثقة وطاعة ورجاء، لأنه لما يملك على حياة المؤمن يبارك عائلته، وينجح عمله، ويحفظه من الشر حتى لا يتعبه. «الرب قد ملك» على عالمنا، ليمنح المظلوم عدلاً ويجازي الظالم، وينصر الحق. ولأنه الملك لا بد أن تجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، لأنه يجب أن يملك فيضع أعداءه موطئاً لقدميه (1كو 15: 25).

«الرب قد ملك» دائماً وخلَّص شعبه وأنقذهم بالخروج من مصر، وأعطى موسى شريعته على جبل سيناء. ثم جاءنا في المسيح الذي أعطانا شريعته في الموعظة على الجبل مفتتحاً إياها بالتطويبات ليفتح لنا أبواب السعادة والخلاص «لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو 1: 17). ثم جاء يوم الخمسين بروح القوة والحكمة والإعلان في معرفته (أف 1: 17) معلناً حبه للبشر، فخلص في يوم واحد نحو ثلاثة آلاف نفس (أع 2: 41). وبين مجيء المسيح الأول المتواضع في مذود بيت لحم ومجيئه الثاني العظيم الآتي يجيء للمؤمن آلاف المرات: في وقت المرض ليشفيه، وفي وقت الضيق لينقذه، وفي وقت الحاجة ليسددها بحسب غناه في المجد. «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة. لا تتزعزع. كرسيك مثبتة منذ القدم. منذ الأزل أنت» (مز 93: 1، 2).

«الرب قد ملك» وسيأتي بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ليجمعوا مختاريه من أقصاء السماوات إلى أقصائها (مت 24: 30، 31). فلنستعد لملاقاته فنسعد بها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مظاهر مجيء الملك (آيات 1–3)

ثانياً – تأثير مجيء الملك (آيات 4–9)

ثالثاً – بركات مجيء الملك (آيات 10–12)

أولاً ـ مظاهر مجيء الملك
(آيات 1-3)

1 – مجيئه بالفرح: «الرب قد ملك. فلتبتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة» (آية 1). أسس الرب المسكونة بالحق والخير والجمال، وخلقها نقية جاهزة لسكن الإنسان فيها. ولكن الإنسان دنس أرض الله بخطيته، فقيل له: «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. شوكاً وحسكاً تنبت لك» (تك 3: 17، 18). ولأن الله ملك المحبة لم يترك الإنسان في ضلاله، فافتقده

بالشريعة على يد موسى، ولكن «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد» (رو 3: 12). وكشفت الشريعة عجز الإنسان عن طاعة الله، ولكنها لم تساعده ليحيا حياة الطاعة. وفي ملء الزمان أرسل الله ابنه فادياً ومخلِّصاً وشفيعاً يكرز ببشارة الملكوت ويقول: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر 1: 14، 15)، فافتدى الذين تحت الناموس ليمنحهم التبني (غل 4: 4، 5)، وانتشل من فخ إبليس الذين استفاقوا بعد أن كان إبليس قد اقتنصهم لإرادته (2تي 2: 26). وفي الصليب والقيامة أعلن الملك انتصاره، ونصر معه كل من يتبعه، ومنحهم العدل والسلام فارتفع الحق، وتحقق لهم الوعد: «عوضاً عن الخجل يبتهجون بنصيبهم. لذلك يرثون في أرضهم ضعفين. بهجة أبدية تكون لهم. لأني أنا الرب محب العدل، مبغض المختلس بالظلم» (إش 61: 7، 8).

2 – مجيئه بالجلال: «السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه» (آية 2). الله نور لا يقدر الإنسان أن يراه ويعيش (خر 33: 20)، وهو ساكن في نور لا يُدنى منه (1تي 6: 16). لكننا نرى صلاحه في أعماله، كما نرى كمال مجده في المسيح الكلمة الذي صار جسداً وحلَّ بيننا، فرأينا مجده (يو 1: 14)، والذي قيل عنه: «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو 1: 18). ويصوِّره المرنم وقد أحاطه السحاب والضباب، فلا تراه العين البشرية، ولو أنها ترى حقه وعدله في أعماله وأحكامه. فعند خروج بني إسرائيل من مصر «كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق» (خر 13: 21). ولما تبع فرعون الشعب «انتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم، فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل، وصار السحاب والظلام وأضاء الليل. فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل» (خر 14: 19، 20). وفي حادثة التجلي أخذ المسيح بطرس ويعقوب ويوحنا إلى جبل عال منفردين «وإذا موسى وإيليا قد ظهرا يتكلمان معه. وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيِّرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت. له اسمعوا» (مت 17: 1–5). وفي مجيئه ثانيةً سيأتي بكل جلاله مع السحاب، وستنظره كل عين (رؤ 1: 7).

على قاعدتي العدل والحق ثبَّت الرب عرشه في السماء، وجعل الأرض موطئاً لقدميه «فيسكن في البرية الحق، والعدل في البستان يقيم. ويكون صُنع العدل سلاماً وعمل العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد. ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة» (إش 32: 16–18).

3 – مجيئه بالنصرة: «قدامه تذهب نار، وتحرق أعداءه حوله» (آية 3). مخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي، فإن إلهنا نار آكلة تحرق الأعداء والمقاومين (عب 10: 31 و12: 29). وكلمته أيضاً نار تذهب أمامه (إر 23: 29) ترعب من يرفضونها، وتفرح من يقبلونها. هكذا كانت كلمة الرب لشاول الطرسوسي نوراً عظيماً كالبرق أسقطه على الأرض (أع 22: 6، 7) فأحرقت عداوته وشكوكه، وغيَّرت حياته، وجعلت منه رسولاً كارزاً بالمسيح ينفق وينفَق من أجل اسمه (2كو 12: 15)، قال عنه الرب: «لأن هذا لي إناء مختار، ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع 9: 15، 16). إنها نار المحبة والدينونة معاً. هي نور الرحمة لمن يقبل العدل، ونار العدل لمن يرفض الرحمة.

ثانياً _ تأثير مجيء الملك
(آيات 4-9)

1 – تأثيره في الأرض: «أضاءت بروقه المسكونة. رأت الأرض وارتعدت» (آية4). تصاحب مجيء الملك العظيم القوة، وتحيط به مظاهر الجلال الإلهي، وتنبئ عنه البروق المضيئة التي تعلن قدوم النور إلى عالم الظلام، فترتجف الأرض وترتعد خشيةً وخشوعاً أمام إله الخليقة المهوب. وقد صاحبت البروق نزول الشريعة لموسى، فيقول الوحي: «حدث في اليوم الثالث.. أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً. فارتعد كل الشعب.. وكان الجبل كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جداً» (خر 19: 16–18).

2 – تأثيره في الجبال: «ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب، قدام سيد الأرض كلها» (آية 5). تفتخر الجبال بارتفاعها، وقد اختار الرب أحدها مكاناً لهيكله (مز 68: 16). ويتطلع الإنسان إلى القمم الشامخة المغطاة بالثلوج بإجلال، فتتحداه ليحاول التسلُّق إلى أعلاها. ولكن هذه الجبال المهيبة في وقت الزلازل والبراكين تفقد قوتها وتذوب أمام سيد الأرض كلها كما يذوب الشمع أمام النار. «ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار الممحِّص، ومثل أشنان القصّار» (ملا 3: 2). وسيظهر تأثيره في الجبال عند مجيء المسيح ثانيةً «لا يتباطأ الرب عن وعده.. لكنه يتأنى علينا، ولا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها» (2بط 3: 9، 10).

3 – تأثيره في السماوات: «أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده» (آية 6). الرب في السماء عرشه، وحوله ملائكته يفعلون مرضاته وينفذون أوامره العادلة، وتحت قدميه كل الكواكب. و«ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيهم» (مز 34: 7). وتنفذ الكواكب أوامره، فعندما وُلد المسيح أعلن النجم عن مكان ميلاده، وقاد المجوس ليسافروا إلى بيت لحم ليسجدوا له، فرأى ممثلو جميع الشعوب مجده (مت 2: 1، 2، 7). وعندما صُلب عن خطايانا أظلمت الشمس لصلبه (مت 27: 45)، ورأى جميع الشعوب في الصليب التقاء عدالة الله مع رحمته. وتعلن السماء عدالة الله في البروق والرعود، كما رأى جميع الشعوب مجده في الطوفان يوم قال لنوح: «نهاية كل بشر أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض. ها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء» (تك 6: 13، 17). حقاً «السماوات تحدِّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدي علماً.. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مز 19: 1–4).

4 – تأثيره في الوثنيين: «يخزى كل عابدي تمثالٍ منحوت، المفتخرين بالأصنام. اسجدوا له يا جميع الآلهة» (آية 7). يخزى عابدو الوثن يوم يكتشفون أنهم يعبدون ما صنعته أيديهم. فهل يعبد الصانع صنعة يديه؟ ويخزون يوم يكتشفون أنها لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم ولا تعين، كما خزي سحرة فرعون وهم يقولون له عن ضربة البعوض: «هذا إصبع الله» (خر 8: 19). ولله تسجد جميع آلهة الوثنيين، فما يتعبَّد له الوثنيون من حجر ومعادن وحيوان هي خليقة الله. وما يتعبد له أهل عصرنا الحاضر من مال وجاه وصحة وعائلة هي من عطايا الله. ويخزى عابدو هذه كلها وهم يسمعون قول المسيح للسامرية: «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون.. تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو 4: 22–24).

5 – تأثيره في المؤمنين: «سمعت صهيون ففرحت، وابتهجت بنات يهوذا من أجل أحكامك يا رب، لأنك أنت يا رب عليٌّ على كل الأرض. علوت على كل الآلهة» (آيتا 8، 9). عندما يخزى الوثنيون لأن أوثانهم باطلة، وعندما يكتشفون أن الله علا على كل الأرض والسماء، يبتهج المؤمنون لأن زمن معرفة الوثنيين بالإله الحقيقي قد جاء، فقد أعلن الله لهم الحق، ولأنه «لا مثل لك يا رب. عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت. من لا يخافك يا ملك الشعوب لأنه بك يليق. لأنه في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك» (إر 10: 6، 7). و«ما أجمل على الجبال قدمي المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك إلهك. صوت مراقبيك. يرفعون صوتهم، يترنمون معاً» (إش 52: 7، 8).. ويبشر المسيح بأخبار مفرحة عن عهد النعمة للبشر جميعاً، ويقول لكل من يقبل خلاصه وفداءه: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفَك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت 26: 28)، وأنه «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو 8: 1).

ثالثاً _ بركات مجيء الملك
(آيات 10-12)

1 – قداسة أتباعه: «يا محبي الرب أبغضوا الشر» (آية 10أ). عندما يعلن الملك ملكوته يحيط به محبوه وتابعوه وحافظو وصاياه، فيحبونه أكثر لأنهم يقتربون منه أكثر، ويبغضون الشر بكل صوره ويطردونه من قلوبهم وأفكارهم وبيوتهم، ويعملون بالوصية الرسولية: «امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شِبه شر» (1تس 5: 21، 22). ولأنهم يحبون الرب القدوس يكونون نظير القدوس الذي دعاهم قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (1بط 1: 15، 16). وكما كان بنو إسرائيل في عيد الفصح يفتشون بيوتهم بمصباح ليعثروا على أي خمير ليخرجوه من بيوتهم هكذا يفعل المؤمنون، قائلين مع المرنم: «إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز 66: 18). ولأنهم يحبون الرب لا يفرحون بالإثم بل يفرحون بالحق (1كو 13: 6).

2 – سلامة أتباعه: «هو حافظ نفوس أتقيائه. من يد الأشرار ينقذهم» (آية 10ب). عندما يبغض محبو الرب الشر لا يعودون يرهبون الأشرار، لأن الرب يحفظ نفوسهم، وهو الحافظ الذي لا ينعس ولا ينام (مز 121: 4). بخوافيه يظللهم وتحت أجنحته يحتمون (مز 91: 4). باع الإخوة أخاهم يوسف فصار عبداً أُلقي في السجن ظلماً، ولكن الرب كان يجهزه ليصبح رئيس وزراء أعظم مملكة في عصره. وأخيراً قال لإخوته: «أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً» (تك 50: 20). ووقف بولس أمام

محكمة نيرون، وتركه جميع المؤمنين، فقال: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني. لا يُحسب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقواني.. وسينقذني من كل عمل رديء ويخلصني لملكوته السماوي» (2تي 4: 16-18). ولا زال المسيح الراعي الصالح يرعى قطيعه ويحفظه، فلا يسرقه لص في الليل ولا يفترسه ذئب في النهار، ويقول لهم ما قاله لبطرس: «الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو 22: 31، 32). واجتاز بطرس غربلة الشيطان بسلام. ومع أنه أنكر المسيح ثلاث مرات إلا أن المسيح حفظ عليه إيمانه، فعاد يعترف بمحبته له ثلاث مرات (يو 21: 15-17). ولا زال المسيح يؤكد لنا: «لا أهملك ولا أتركك» (عب 13: 5).

3 – استنارة أتباعه: «نور قد زُرع للصديق» (آية 11أ). الصديق هو البار، وهو صاحب الموقف السليم من الله. وهو ليس صالحاً في ذاته، لكنه صدِّيق بار لأن المسيح برَّره بعد أن صلى: «اللهم، ارحمني أنا الخاطي» فنزل إلى بيته مبرراً (لو 18: 13، 14)، وصار وجهه يلمع من رضى الرب عليه «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف 5: 8). الله نور وليس فيه ظلمة البتة، وبنوره نرى نوراً (مز 36: 9) فتستنير عيون أذهاننا (أف 1: 18). ونور الصديق قد زُرع، كما يسبق الفجر انبلاج نور النهار، فيصير ظاهراً معلناً لا يمكن إخفاؤه. «نور أشرق في الظلمة للمستقيمين» (مز 112: 4).

4 – حمد أتباعه: «فرح للمستقيمي القلب. افرحوا أيها الصديقون بالرب. احمدوا ذكر قدسه» (آيتا 11ب، 12). يحق للصديقين، مستقيمي القلوب، أصحاب الموقف السليم من الله، أن يفرحوا بالرب في كل حين (في 4: 4)، لأن فرح الرب قوتهم (نح 8: 10)، ولا ينزعه أحدٌ منهم (يو 16: 22). ويعبِّرون عن هذا الفرح بالترتيل في بيت الرب، فيحمدون ذكر قدسه ويقولون: «افتحوا لي أبواب البر، أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً» (مز 118: 19-21). «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك، لأنك وحدك قدوس ، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهرت» (رؤ 15: 3، 4).

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالتِّسْعُونَ

1 رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً لأَنَّهُ صَنَعَ عَجَائِبَ. خَلَّصَتْهُ يَمِينُهُ وَذِرَاعُ قُدْسِهِ. 2أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ.
لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ. 3ذَكَرَ رَحْمَتَهُ وَأَمَانَتَهُ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ. رَأَتْ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا.
4اهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. اهْتِفُوا وَرَنِّمُوا وَغَنُّوا. 5رَنِّمُوا لِلرَّبِّ بِعُودٍ. بِعُودٍ وَصَوْتِ نَشِيدٍ.
6بِالأَبْوَاقِ وَصَوْتِ الصُّورِ اهْتِفُوا قُدَّامَ الْمَلِكِ الرَّبِّ. 7لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ، الْمَسْكُونَةُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. 8الأَنْهَارُ
لِتُصَفِّقْ بِالأَيَادِي، الْجِبَالُ لِتُرَنِّمْ مَعاً 9أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، وَالشُّعُوبَ
بِالاِسْتِقَامَةِ.

تعظم نفسي الرب

هذا هو المزمور الوحيد في كل سفر المزامير الذي يحمل عنوانه كلمة «مزمور» بدون إضافة شيء بعدها. وهو أحد المزامير السبعة التي تدعونا لنسبح الرب الملك (هي 93 و95–100) لأنه جاء بالخلاص لشعبه، ودعاهم دعوة مقدسة، وأخرجهم من العالم الشرير ليتبعوه. وهو يدعو الطبيعة بأنهارها وبحارها وجبالها وسكانها لتسبِّح الرب. والأغلب أن المرنم غنى كلمات هذا المزمور بمناسبة رجوع بني إسرائيل من السبي البابلي. وعلى الكنيسة المفدية أن تترنم به اليوم، وهي تتأمل سلطان الرب الملك على أرضنا، فيصنع العجائب ويخلص شعبه. فلنرنم كلمات هذا المزمور حتى لو أحاطت بنا المشاكل والمتاعب، وخُيِّل لنا أن مملكة الله مهزومة وأن مملكة إبليس منتصرة. حدثني أحد القادة المسيحيين عن معجزة أجراها الله في بلده استجابة لصلوات الكنيسة، ثم قال: «أحياناً نعطي الشيطان أكثر من حقه ونعلي من شأنه فنقول إنه ضايق وعطل وعاكس، بينما الحقيقة هي أن الرب هو الملك المنتصر، وأن كل الأمور في يده، وهو الذي يحرك المسكونة وسكانها بكلمة منه. ومهما بلغت قوة الشيطان فهو مجرد عامل مُرغَم على خدمة مملكة الله». وقد صدق هذا القائد الحكيم.

يستحق الله الملك أن يستسلم المؤمنون له باختيارهم، وأن يخدموه بكل قلوبهم، ويقدموا له نفوسهم بكامل رغبتهم (رو 12: 1)، لأنه ملكهم، والذي يمسك دفة سفينة العالم ويقودها لصالح الذين هم له. فلنجدد عهودنا دائماً معه ليكشف لنا قوة محبته وعنايته التي تسبي قلوبنا.

قال المفسر آدم كلارك إن هذا المزمور نبوة عن مجيء المسيح الملك ليخلِّص العالم من خطاياه، وإن ما تنبأ به صاحب مزمورنا أعلنت العذراء تحقيقه في تسبيحتها بعد أن بشرها الملاك بولادة المسيح (لو 1: 46–54). وإليك بعض كلمات المزمور، وتسبيح العذراء استجابة للبشارة:

المرنم: رنموا للرب ترنيمة جديدة.

العذراء: تعظم نفسي الرب.

المرنم: لأنه صانع عجائب.

العذراء: لأن القدير صنع بي عظائم.

المرنم: خلَّصته يمينه وذراع قُدسه.

العذراء: صنع قوة بذراعه. شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم.

المرنم: أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف بره.

العذراء: رحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه.

المرنم: ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل.

العذراء: عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة.

ولا بد أن كلمات مزمورنا كانت ماثلة في ذهن العذراء وهي ترنم تسبيحتها بمجيء المخلص الذي يصنع خلاصاً لشعبه أعظم من خلاص الخروج من مصر، وأعظم من العودة من السبي البابلي، لأن خلاص المسيح خلاص شامل لكل العالم، كما أنه خلاص أبدي من الخطية وسلطانها وأجرتها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – لماذا نسبح الرب؟ (آيات 1–3)
ثانياً – كيف نسبح الرب؟ (آيات 4–6)
ثالثاً – مَن يسبح الرب؟ (آيات 7–9)

أولاً- لماذا نسبح الرب؟
(آيات 1-3)

1 - نسبحه لأن أعماله عجيبة: «رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صانع عجائب. خلصته يمينه وذراع قدسه» (آية 1). عجائب الله ملموسة في حياة كل مؤمن، وهي الدافع على كل تسبيح. يغيِّر الله قلب الخاطئ الحجري ويعطيه قلباً لحمياً بالولادة الروحية الثانية من الله، بحسب قوله الكريم: «وأجعل في داخلكم روحاً جديداً، وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم، لكي يسلكوا في فرائضي» (حز 11: 19، 20). فامتلأ فم المؤمن بتسبيحة جديدة لله. كانت أعظم عجائب الله مع بني إسرائيل هي معجزة الخروج من عبودية فرعون، بعد أن أهلك الملاك المهلك كل أبكار مصر، دون أن يمس أبكار بني إسرائيل الذين أطاعوا أمر الرب ورشوا الدم على قائمتي أبواب بيوتهم وعلى عتباتها العليا (خر 12: 23)، فاضطر فرعون أن يأمرهم بمغادرة البلاد. ولما ندم على خروجهم، تبعهم بجيشه ليعيدهم إلى عبوديته، فشق الله أمامهم البحر الأحمر فعبروه، بينما غرق عدوهم فيه (خر 14: 29، 30). وعندما وصلوا إلى حدود أرض الميعاد شق الله لهم نهر الأردن فعبروه سالمين (يش 3: 17). وأجرى الله مع بني إسرائيل معجزة أخرى، يسمونها «الخروج الثاني» هي إعادتهم من السبي البابلي الذي استمر سبعين سنة، فقد كلف الرب كورش الفارسي أن يسهل لهم أمر عودتهم لبلادهم وإعادة بناء هيكلهم بعد نهاية السنوات السبعين.. أجرى الرب كل هذه العجائب، وخلص شعبه من كل ضيقاتهم دون حاجة لمعونة من بشر. «قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا» (إش 52: 10). «فخلصت ذراعه لنفسه، وبرُّه هو عضده» (إش 59: 16) وبين الخروجين العظيمين استمر حب الله لشعبه يصنع العجائب.

واليوم نرى أكثر بكثير مما رآه بنو إسرائيل، لأن المسيح هو «عمانوئيل» ومعناه «الله معنا» (مت 1: 21–23)، فقد أعلن الوحي لنا أنه «عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (1تي 3: 16). وعندما يسألنا المحيطون بنا: كيف يتجسد الله؟ نجيب: أليس هو القادر على كل شيء؟ أليس هو صاحب السلطان أن يعلن نفسه للبشر بالطريقة التي يريدها؟ فكيف لا يتجسد؟ إنه محبة، فانظروا محبة من تنازل إلينا ليتمم خلاصنا. إنه الآب السماوي الذي منه يتعلم كل أب وكل أم أرضيين كيف يحبون أولادهم غريزياً وتطوعياً. لاحظ تضحياتهما لأجل أولادهما خصوصاً في مرحلة الصغر، وفي وقت المرض. فلماذا يبدو غريباً أن يتنازل الله إلينا ويهتم بنا ليخلصنا؟ لقد أظهر صليب المسيح أعظم عجائب الله وخلاصه المقدس، لأن لنا فيه الفداء. كان المسيح قادراً لو أراد أن ينزل من على الصليب، لكن المعجزة الكبرى هي أنه بقي على الصليب ليخلص نفوسنا بذراع قدسه، فهزم الشيطان، وأمات الموت بموته الفدائي (كو 2: 15 وعب 2: 14). ثم قام في اليوم الثالث من بين الأموات. وقال الرسول بطرس لشيوخ اليهود عن المسيح: «بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن الموت يمسكه» (أع 2: 23، 24).

وعندما نتأمل حياة المسيح على أرضنا نرى خلاصه العجيب وأعمال رحمته، فذات مرة توقف فجأة أثناء سيره مع الجمع لأنه مريضة بنزيف دم لمست طرف ثوبه لتنال الشفاء، فنالته في الحال. وكانت شريعة موسى تقول إن هذه المرأة نجسة طقسياً، وإن من تلمسه يتنجس. ولم يكتفِ المسيح بأن سمح لها أن تلمسه، وأن يشفي مرضها الجسدي بالقوة التي خرجت منه، ولكنه منحها حياة روحية جديدة عندما قال لها: «يا ابنة، إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام، وكوني صحيحة من دائك» فضمَّد جراحها، وداوى كسور نفسها، وقدم لها خلاصه العظيم (مر 5: 25–34). ولا زلنا اليوم نرى معجزات محبته واضحة بيننا، فعندما كان على أرضنا شفى المرضى، والآن قد رفعه الله هو حي يجري المعجزات نفسها. فلنرنم للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب ولا يزال يصنع.

2 - نسبحه لأن أعماله معلنة: «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف بره» (آية 2). قال الرب: «لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان برّي» (إش 56: 1) فخلاص الله وبره (الذي هو عدالته) يسيران معاً. وعدالة الله هي أمانته لوعوده، وعمله على تنفيذ تلك الوعود. أعلن الله خلاصه بمجيء المسيح إلى أرضنا وتتميم فدائنا، ثم بانسكاب روحه القدوس على المؤمنين به لينالوا قوة فيشهدون له. وهكذا حقق وعوده التي أعلنها بفم أنبيائه القديسين. أعلن الله بره ورحمته في الصليب الذي عليه حمل إثمنا، وفيه استوفى أجرة خطايانا، وفيه «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز 85: 10). أعلن الرب خلاصه وكشف بره لعيون الأمم الذين لا يملكون كتاباً منزلاً، وهم أصحاب بصيرة دينية مغلقة وعيون روحية عمياء، لأن إبليس، إله هذا الدهر، أعمى أذهانهم حتى لا يتبعوا الحق. لهؤلاء العميان أعلن الرب خلاصه وكشف بره ليفتح بصيرتهم ويقودهم إلى سبل البر. وليعلن

حتى لأشد الناس قساوة أنه إله المحبة، كما فعل مع شاول الطرسوسي مضطهِد الكنيسة، ففتح بصيرته وأزال القشور عنها، وقال عنه: «لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل، لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع 9: 15، 16). فتغيَّر من «الطرسوسي» إلى «بولس الرسول» الذي قال: «لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي، والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع 20: 24). لقد فتح المسيح عيني المولود أعمى، كما فتح عيون الذين أعمتهم الخطية. ذات يوم قاد البعضُ الأصدقاء الأعمى للمسيح طالبين أن يفتح عينيه، فوضع يديه على عينيه وسأله: هل أبصر شيئاً؟ فأجاب أنه يرى الناس كأشجار يمشون، ولكنه لم يكن متحمساً ليحصل على بركة أكبر. ومع ذلك فقد وضع المسيح يديه مرة أخرى على عينيه، ووهبه البصر الكامل، فكشف بهذا الشفاء بر الله ومحبته وقدرته لذلك الأعمى ولنا (مر 8: 22–26). وفي هذه المعجزة وغيرها نرى إله الخلاص الذي لا يعطي نصف البركة فقط، بل يعطي البركة كلها. أعلن الرب خلاصه وكشف بره، ولا يوجد ما يعطل عمل نعمته أو يوقف فعالية ذراع قدسه.

3 - نسبحه لأن أعماله بحسب عهده: «ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل» (آية 3أ). لا يمكن أن ينسى الله العهد الذي دخل فيه مع شعبه، وهو القائل: «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي» (مز 89: 3)، وقد قيل له: «تصنع الأمانة ليعقوب، والرأفة لإبراهيم، اللتين حلفت لآبائنا منذ أيام القِدم» (مي 7: 20). ولكن شعب الرب قد يقول في يأسه: «قد تركني الرب وسيدي نسيني» فيجيبهم: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك. هوذا على كفيَّ نقشتك. أسوارك أمامي دائماً» (إش 49: 14–16).

هذا الإله المخلص البار الذي دخل مع شعبه القديم في عهد، دخل مع كل الذين يقبلون المسيح مخلصاً في عهد جديد، قال عنه: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت 26: 26، 27). وهو يدعونا لنكون أمناء في هذا العهد معه كما أنه أمين دائماً في عهده معنا، ويذكر رحمته وأمانته.

4 - نسبحه لان أعماله منظورة: «رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا» (آية 3ب). خلاص الله عظيم ومرتفع يراه القريب والبعيد، لأنه يكشفه لعيون الأمم (آية 2). «يرى ذلك الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله» (مز 69: 32). يقول المؤرخ المقدس: «عندما سمع جميع ملوك الأموريين الذين في عبر الأردن غرباً، وجميع ملوك الكنعانيين الذين على البحر (شرقاً) أن الرب قد يبَّس مياه الأردن.. ذابت قلوبهم، ولم تبق فيهم روح بعد» (يش 5: 1). إن أعمال الله الخلاصية واضحة للمؤمنين الذين يختبرونها، كما أنها واضحة لكل المحيطين بهم. عندما زرع إسحاق بن إبراهيم حصد مئة ضعف وباركه الرب، فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيماً جداً، وأرحب الرب له، وأثمر في الأرض. فجاء ملك البلاد وقائد الجيش وقالا له: «رأينا أن الرب كان معك، فقلنا: ليكن بيننا حلف، ونقطع معك عهداً» (تك 26: 12–33). وعندما التقى المسيح بالسامرية الخاطئة خلَّص نفسها من خطاياها، فرجعت تشهد لأهل بلدها عنه، فأتوا إليه وسمعوا منه وقبلوا خلاصه، ثم قالوا لها: «لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم» (يو 4: 42)

ثانياً: كيف نسبح الرب؟

(آيات 4-6)

1 - نسبِّحه بفرح: «اهتفي للرب يا كل الأرض. اهتفوا ورنموا وغنوا» (آية 4). يطلب المرنم من كل الخلائق أن تهتف لخالقها «اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنماً، الوعر وكل شجرة فيه، لأن الرب فدى يعقوب» (إش 44: 23). عندما كان ملك يعتلي العرش كان الشعب يحتفل به بالهتاف، كما هتفوا للملك شاول (1صم 10: 24).. وبالغناء تصاحبه الموسيقى، كما احتفلوا بالملك سليمان (1مل 1: 39).. وبالتصفيق، كما صفقوا للملك يوآش (2مل 11: 12). والهتاف هو صيحات إنسان فرحان، والغناء هو كلمات ملحَّنة ومنغَّمة بصوت منفرد أو من جوقة، لأن من فضلة القلب يتكلم الفم. «طوبى للشعب العارفين الهتاف.. باسمك يبتهجون اليوم كله» (مز 89: 15، 16).. وعندما رد الرب سبي شعبه قال النبي لهم: «أشيدي، ترنمي معاً يا خرب أورشليم، لأن الرب قد عزى شعبه، فدى أورشليم» (إش 52: 9).

2 - نسبحه بمصاحبة الموسيقى: «رنموا للرب بعود وصوت نشيد. بالأبواق وصوت الصور» (آيتا 5، 6أ). يطلب المرنم أن يكون الترنيم للرب بعود، وهو آلة وترية تكون أحياناً ذات عشرة أوتار، ويطلب أن تنطلق الحناجر الفرحانة بصوت النشيد للرب الملك، الذي يطمئننا بقوله: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28: 20)، فيقول: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز 16: 8).

أما الصور فهو البوق وكان قرن خروف أو ثور، عالي الصوت يسمعه الجميع. وكانوا يستخدمونه لدعوة الشعب للعبادة في بيت الرب، كما أمر الرب موسى: «اصنع لك بوقين من فضة. مسحولين تعملهما، فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات. إذا ضربوا بهما يجتمع إليك كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع» (عد 10: 2، 3).. كما كانوا يستخدمون البوق لدعوة الشعب للدفاع في وقت الحرب وللابتهاج بالانتصار: «إذا ذهبتم إلى حرب في أرضكم على عدو يضربكم، تهتفون بالأبواق فتُذكرون أمام الرب إلهكم وتُخلَّصون من أعدائكم» (عد 10: 9).. وكان صوت البوق يدعو الشعب للاحتفال بالعيد، فيقول الرب: «في يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق» (عد 10: 10).. وكان صوت البوق يعلن سنة اليوبيل، فيقول الرب: «وتعُدّ لك سبعة سبوت سنين، سبع مرات، فتكون لك أيام السبعة السبوت السنوية تسعاً وأربعين سنة. ثم تعبِّر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر في يوم الكفارة، تعبِّرون البوق في جميع أرضكم» (لا 25: 8، 9). وسنة اليوبيل هي سنة تحرير العبيد، وسنة عودة الأرض المرهونة إلى أصحابها. فلنحتفل وندعو بعضنا بعضاً للتمتع بالحرية التي يمنحها المسيح لنا «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 8: 36).

3 - نسبحه بالاحترام: «اهتفوا قدام الملك الرب» (آية 6ب). يعلم المؤمنون عظمة الشرف الممنوح لهم في أن الرب هو ملكهم، وأنهم أعضاء في ملكوت محبته، وأن لهم حق المثول في محضره، فالرب هو الملك الذي يجب أن يملك على حياتنا، وهو الإله الذي اشترانا لنفسه من كل قبيلة وشعب وأمة ولسان لنكون له. والهتاف أمام الملك يعلن الحب والطاعة لله والخضوع لسلطانه، كما استقبلت الجموع المسيح في دخوله الانتصاري إلى أورشليم هاتفةً: «أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (مت 21: 9).

ثالثاً: من يسبح الرب

(آيات 7-9)

1 - البحار والأنهار: «ليعج البحر وملؤه.. الأنهار لتصفق بالأيادي» (آيتا 7أ و8أ). البحار والأنهار خليقة الله، فيدعوها المرنم ليصفقوا بالأيادي، وكأن صوت المياه وهي تضرب الشاطئ تصفيق لمن أوجدها ووضع لها حداً لا تتعداه (مز 104: 9). وترمز البحار والأنهار للعدو، أو القوة المضادة للرب، ولو أنها خليقته. ولا بد أن المخلوق يتمم إرادة الخالق طوعاً أو كرهاً، فإن «غضب الإنسان يحمدك يا رب» (مز 76: 10). وعلى ذلك فإنه مهما عج البحر فإنه في النهاية يطيع الله خالقه. لقد عج البحر الأحمر ولكنه صفَّق وبنو إسرائيل يعبرونه، كما صفق نهر الأردن وهو ينشق ليعبروه: «الآن هكذا يقول الرب: لا تخف لأني فديتك، دعوتك باسمك، أنت لي. إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذع واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك» (إش 43: 1-3). يقول المرنم: «رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها» (مز 93: 3). لكن «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19).

2 - الأرض والبشر: «المسكونة والساكنون فيها» (آية 7ب). المسكونة وساكنوها مدعوون ليسبحوا الرب الذي خلقهم ويعتني بهم. وينقسم ساكنو المسكونة إلى قسمين: أبناء للرب وشحاذين منه، وكلاهما يأخذ من الرب الذي يفتح يديه فيشبعون خيراً (مز 104: 28). ولكن ما أعظم الفرق بين الذين يأخذون من الله فيشبعون لأنه أنعم عليهم بالتبني حسب القول: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 12)، وبين الشحاذين الذين يأكلون من الفتات الساقط من مائدة البنين (لو 16: 21). فهل أخذت البنوية من الله؟ أم هل أنت مجرد شحاذ تستجدي الخبز منه؟

3 - الجبال: «الجبال لترنم معاً أمام الرب إلهنا لأنه جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة» (آيتا 8ب، 9). يدعو المرنم الجبال، وهي أعلى ما في الأرض لتسبح الرب، لأنه عادل وقوي، ولا ضعف فيه. وكل مظلوم يفرح لأن الرب يدين البشر فيعطي كل ذي حق حقه. «لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تُحضَرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً، وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي.. ويكون للرب اسماً علامة أبدية لا تنقطع» (إش 55: 12، 13). وعندما نسمع صوت المسيح الذي سيدين العالم يقول «أنا آتي سريعاً» نهتف: «آمين. تعال أيها الرب يسوع» (رؤ 22: 20).

* * *

عندما نتأمل في تمجيد الرب الملك دعونا نجاوب على ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: قال المرنم: «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف برَّه». فهل اختبرت خلاصه الذي صنعه بحبه العظيم في فدائه لك على الصليب؟ وهل نلت غفران خطاياك وتكفيره عنك؟

السؤال الثاني: قال المرنم: «اهتفوا ورنموا وغنوا». فهل أنت فرحان بالرب؟.. اختبر كثيرون خلاص الــرب، لكــن وجــوه بعضهم عابسة لا تُظهر فرح خلاصهم. فليظهر فرح خلاصنا لا بابتسامة خارجية لكن من عمق قلوبنا، فإن فرح الرب هو قوتنا.

السؤال الثالث: قال المرنم: «رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا». فهل نعلن خلاصه لكل الأرض؟ وهل نشــهد لإيماننــا؟ يكتفي كثيرون من المؤمنين بحياة الأنس الدافئ مع إخوتهم المؤمنين، ولا ينتبهون لصرخة العالم الذي يستنجد بهم قائلاً: اعبروا إلينا وأعينونا. فلنعلن خلاص إلهنا ليراه الجميع وليسمع به الجميع.

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالتِّسْعُونَ

1 اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ، تَرْتَعِدُ الشُّعُوبُ. هُوَ جَالِسٌ عَلَى الْكَرُوبِيمِ، تَتَزَلْزَلُ الأَرْضُ. 2الرَّبُّ عَظِيمٌ فِي صِهْيَوْنَ، وَعَالٍ هُوَ عَلَى كُلِّ الشُّعُوبِ. 3يَحْمَدُونَ اسْمَكَ الْعَظِيمَ وَالْمَهُوبَ. قُدُّوسٌ هُوَ. 4وَعِزُّ الْمَلِكِ أَنْ يُحِبَّ الْحَقَّ. أَنْتَ ثَبَّتَّ الاِسْتِقَامَةَ. أَنْتَ أَجْرَيْتَ حَقّاً وَعَدْلاً فِي يَعْقُوبَ.

5عَلُّوا الرَّبَّ إِلَهَنَا، وَاسْجُدُوا عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ. قُدُّوسٌ هُوَ. 6مُوسَى وَهَارُونُ بَيْنَ كَهَنَتِهِ، وَصَمُوئِيلُ بَيْنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِهِ. دَعُوا الرَّبَّ وَهُوَ اسْتَجَابَ لَهُمْ. 7بِعَمُودِ السَّحَابِ كَلَّمَهُمْ. حَفِظُوا شَهَادَاتِهِ وَالْفَرِيضَةَ الَّتِي أَعْطَاهُمْ. 8أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا، أَنْتَ اسْتَجَبْتَ لَهُمْ. إِلَهاً غَفُوراً كُنْتَ لَهُمْ، وَمُنْتَقِماً عَلَى أَفْعَالِهِمْ. 9عَلُّوا الرَّبَّ إِلَهَنَا، وَاسْجُدُوا فِي جَبَلِ قُدْسِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا قُدُّوسٌ.

قدوسٌ هو

هذا ثالث المزامير التي تبدأ بالقول «الرب قد ملك» (وهي مزامير 93، 97، 99)، وهو آخرها، ويبدأ بالتسبيح لله الملك القدوس، تتكرر فكرة قداسة الرب فيه ثلاث مرات، فيقول في آيتي 3، 5 «قدوس هو» وفي آية 9 «إلهنا قدوس». وهو يدعو كل الشعوب ليضمّوا أصواتهم مع شعب الرب في إعلان قداسته الكاملة، ويهتفوا له مع ملائكة السرافيم: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش 6: 3). ولا يمكن للخاطئ أن يقف في محضر الله القدوس إلا إن أخذ من عنده ثوب الخلاص ورداء البر ولباس التقوى. وقد روى لنا المسيح مثل عُرس ابن الملك (مت 22: 1-14)، فقال إن الملك دعا شعبه لوليمة عرس ابنه، وجهَّز لمدعوّيه كل ما يمكن أن يحلموا به، ووزَّع عليهم ملابس ملكية، ثم جال بين صفوف ضيوفه يرحِّب بهم، فوجد أحد المدعوين لا يلبس الملابس الملكية، لأنه كان يظن أن ثيابه تصلح لحضور الوليمة، فأمر الملك بطرده خارج القصر. وهذا يعني أننا لا يمكن أن نمثل في محضر الرب إلا إن احتمينا في ستر كفارته الكريمة لنكون مقبولين في محضره. حاول أبوانا الأولان أن يسترا نفسيهما بأوراق الشجر ففشلت محاولاتهما، حتى ستَرهما الرب بالفداء وبأقمصة من جلد. إن وقوف الخاطئ في محضر الرب مخيف، وليس له من حماية إلا حماية كفارة المسيح الذي قال: «ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلِّص ما قد هلك.. ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (لو 19: 10 ومت 20: 28).

يركز هذا المزمور على القداسة ويذكر ثلاث شخصيات، هي موسى صاحب الشريعة، وهارون الكاهن، وصموئيل النبي والقاضي، ويقول إنهم دعوا الرب فاستجاب لهم، ليس بسبب كمالهم، لكن لأنه متَّعهم بالغفران والنجاة بواسطة حمل الفصح الذي حمى أبكار بني إسرائيل من الموت، وبواسطة الذبائح الكفارية التي أمر الرب بها موسى، وكلها تشير إلى كفارة المسيح على الصليب. وقد قاد هؤلاء الثلاثة المؤمنين في طريق الرب، وصلوا لأجلهم، وعاشوا حياة مقدسة لأنهم حصلوا على القبول الإلهي، بالبر الذي من الله بالإيمان.

في هذا المزمور يقول المرنم إن الرب أرسى قواعد مُلكه في الأرض كلها، وفي هيكله المقدس، وهو يحكم بالعدل والحق والاستقامة، ولذلك يجب أن يسبِّحه الجميع.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الرب يملك على المسكونة (آيات 1-3)

ثانياً – الرب يملك بالبر (آيتا 4، 5)

ثالثاً – مظاهر مُلك الرب (آيات 6-9)

أولاً - الرب يملك على المسكونة
(آيات 1-3)

في هذه الآيات الثلاث يقول المرنم إن الرب يملك، فترتعد المسكونة وسكانها، ويحمد المؤمنون اسمه المهوب.

1- ترتعد أمامه المسكونة وسكانها: «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم. تتزلزل الأرض» (آية 1). عندما يملك الرب ترتعد الشعوب وتتزلزل الأرض، إجلالاً وتوقيراً واحتراماً للخالق الذي أوجدها. قال المرنم للرب: «صوت رعدك في الزوبعة. البروق أضاءت المسكونة. ارتعدت ورجفت الأرض» (مز 77: 18). وقال النبي إشعياء للرب: «ليتك تشقُّ

السماوات وتنزل! من حضرتك تتزلزل الجبال. كما تُشعل النار الهشيم، وتجعل النارُ المياه تغلي، لتُعرِّف أعداءك اسمك، لترتعب الأمم من حضرتك» (إش 64: 1، 2). عندما تجلى الرب بعظمته للنبي إشعياء امتلأ الهيكل دخاناً، واهتزَّت أساسات أعتابه، فصرخ النبي: «ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك ربَّ الجنود» (إش 6: 5). ترتعد المسكونة وسكانها لأنهم يشعرون بعدم استحقاقهم للمثول في محضر الرب، ويدركون أنهم هالكون بسبب خطاياهم، ولا سبيل لهم للنجاة إلا بالمراحم الإلهية.

ويقول المرنم إن الرب «جالس على الكروبيم». والكروبيم (في العبرية) جمع كلمة «كروب»، والمثنى كروبان، وهم قسم مختار من الملائكة المقرَّبين إلى الله أكثر من سواهم، ويُعرَفون بملائكة الحضرة، وأطلق عليهم علماء اليهود «ملائكة القُدرة» وقد أقامهم الله حُرّاساً لأبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها (تك 3: 24). وطلب الله من موسى أن يصنع كروبَيْن من ذهب يبسطان أجنحتهما على تابوت عهد الرب في قدس الأقداس (خر 25: 18، 19). والقول «جالس على الكروبيم» تعبير رمزي لأن الذي يجلس هو الذي أكمل عمله. وهو تعبير يعني أن الملائكة بكل عظمتهم يخدمون الله ويؤدّون له السجود، ويقومون بكل ما يكلفهم به. صلى حزقيا أمام الرب وقال: «أيها الرب، إلهُ إسرائيل، الجالسُ فوق الكروبيم، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماء والأرض» (2مل 19: 15). وقال المرنم لله: «يا راعي إسرائيل اصْغَ.. يا جالساً على الكروبيم أَشرِق» (مز 80: 1). وفي تشبيه شعري يقول داود إن الرب ركب على كروب وطار (مز 18: 10). ورأى النبي حزقيال الكروبيم تحت عرش الله (حز 11: 22). ومن فرط قوة الله الذي يخدمه الكروبيم تتزلزل الثوابت، فقد تزعزع المكان الذي اجتمع فيه التلاميذ وصلّوا (أع 4: 31) وانفتحت أبواب سجن فيلبي بعد ترنيم وصلوات بولس وسيلا (أع 16: 26) وارتجفت القلوب القاسية وهي ترى عظمة عمل الله (أع 16: 29). حقاً «كل وطاءٍ يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المُعوَجُّ مستقيماً والعراقيب (الطريق الوعر) سهلاً» (إش 40: 4).

2- المؤمنون يحمدون: «الرب عظيم في صهيون، وعالٍ هو على كل الشعوب. يحمدون اسمك العظيم والمهوب. قدوس هو» (آيتا 2، 3). في صهيون بنى الملك سليمان الهيكل العظيم، ويقول المرنم: «الرب أحبّ أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب» (مز 87: 2). «عظيمٌ هو الرب وحميدٌ جداً في مدينة إلهنا، جبلِ قدسه» (مز 48: 1). وسبب هذا الحمد أن نعمة الله العظيمة تظهر في الهيكل، فهناك ينال الخاطئ المعترف غفران خطاياه وهو يقدم الذبيحة طلباً للرحمة، كما أمرت شريعة موسى. كما أن من الهيكل يتضح كمال شريعة الله وتعليمه، فيحمد المؤمنون اسمه العظيم والمهوب، لأنه القدوس، ويتحقق القول: «الرب إلهك في وسطك إلهٌ عظيم ومخوف» (تث 7: 21). «ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طُرقه ونسلك في سُبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سِككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد» (إش 2: 2–4 ومي 4: 1–3).

وبعد مجيء المسيح إلى أرضنا توقَّف تقديم الذبائح الموسوية، وهُدم هيكل أورشليم، لأن كفارة المسيح كانت المرموز إليه. فلما جاءت الذبيحة الحقيقية انتهت الرموز، كما تسقط الزهرة من الشجرة لأن الثمرة نبتت. والكنيسة اليوم هي مسكن الرب، وقد أظهر لها قوته وحكمته وبرَّه وفداءه، فعليها أن تطيعه وأن تحمده من أجل الخلاص والفداء، ومن أجل العناية والرعاية، ومن أجل استجابة الصلاة، وهو يقول لشعبها: «الذي فيكم أقوى من الذي في العالم» (1يو 4: 4) «المسيح فيكم رجاء المجد» (كو 1: 27).. الكنيسة اليوم هي صهيون الروحية، والمسيح في وسطها حسب وعده: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي هناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20). فلنطلب من الرب الموجود في وسطنا أن يُظهر لنا جلال وجوده، لنعبده ونفرح به، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب (يو 20: 20). ولنعلِّ الرب في وسطنا، فيرتفع اسمه القدوس في تصرفاتنا وحياتنا «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملكٌ كبير على كل الأرض» (مز 47: 2).

ويختم المرنم هذا الجزء من مزموره بهتافه «قدوسٌ هو».

ثانياً ـ الرب يملك بالبر
(آيتا 4، 5)

في هاتين الآيتين يقول المرنم إن الرب يحب الحق، ويثبِّت الاستقامة، ويُجري العدل، ويطالب شعبه بالسجود عند موطئ قدميه.

1- الرب الملك يحب الحق: «وعِزُّ الملك أن يحب الحق» (آية 4أ). العز هو القوة، والرب قوي لأنه الحق الذي لا خطأ فيه ولا كذب ولا مكر. «الله نور، وليس فيه ظلمة البتَّة» (1يو 1: 5). قال المسيح: «أنا هو الطريق والحق والحياة.. وتعرفون الحق،

والحق يحرركم.. فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 14: 6 و8: 32، 36). وقال في صلاته الشفاعية: «هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيَّ وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو 17: 3) فهو الإله الحقيقي بالمقارنة بالآلهة الوهمية التي عبدها الوثنيون، والآلهة الغامضة التي تعبَّد لها اليونانيون. «هوذا الله عزيز ولكنه لا يرذل أحداً. عزيز قدرة القلب. لا يحيي الشرير، بل يُجري قضاء البائسين. لا يحوِّل عينيه عن البار» (أي 36: 5-7).

2- الرب الملك يثبِّت الاستقامة: «أنت ثبَّتَّ الاستقامة» (آية 4ب). وقد قال: «لأني أنا الرب محبُّ العدل، مبغض المختلس بالظلم. وأجعل أجرتهم أمينة، وأقطع لهم عهداً أبدياً.. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسلٌ باركه الرب» (إش 61: 8، 9). ولأنه يحب الحق فهو يزيل العوَج من نفوس محبّيه الذين يتبعونه بكل قلوبهم، كما يعاقب كل أثيم أعوج.

3- الرب الملك يُجري العدل: «أنت أجريتَ حقاً وعدلاً في يعقوب» (آية 4ج). يعقوب هو أب الأسباط، ويُطلَق اسمه على بني إسرائيل جميعاً. ويمكن أن يكون المعنى أن الله أجرى الحق والعدل في حياة يعقوب نفسه، وأجراه أيضاً في أعماله معه. لقد خلَّص يعقوب من خطاياه، كما أنقذه من أعدائه. كان يعقوب في مطلع حياته يتعقَّب الآخرين، فخدع أباه وأخاه وخاله، فغيَّر حياته وغيَّر اسمه من يعقوب المتعقِّب إلى إسرائيل المجاهد، وبهذا التغيير أجرى حقاً وعدلاً في حياة يعقوب. ثم أجرى الحق والعدل معه، فأنقذه من أعدائه وحقَّق له وعوده.. كما يمكن أن يكون المعنى أن الله أجرى الحق والعدل في حياة نسل يعقوب ومعهم، فإنه عاقبهم بالسبي البابلي لما ارتدّوا عن عبادته وقدَّموا ذبائحهم للأصنام. ولما تخلَّصوا نهائياً من العبادة الوثنية أعادهم إلى أرضهم بأمرٍ من كورش الفارسي. وأجرى الله حقاً وعدلاً مع بني إسرائيل عندما أنقذهم من أعدائهم.. والرب مستعد أن يُجري هذا الحق والعدل في حياتنا ومعنا، إذ يغيِّر حياتنا تغييراً جذرياً كاملاً، فيتم فينا القول: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (2كو 5: 17). وهو يُجري الحق والعدل معنا فنقول: «إن كان الله معنا، فمن علينا؟» (رو 8: 31).

4- الرب الملك يستحق المُلك: «علّوا الرب إلهنا. اسجدوا عند موطئ قدميه. قدوسٌ هو» (آية 5). كيف نعلّي الرب إلهنا؟ وهل يحتاج إلى ارتفاع، وهو العلي العظيم؟.. المقصود أن يملك الرب على حياتنا بالكامل، فندعوه: «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع 27: 23)، وأن نعلّي كلمته في حياتنا بطاعتها، لتكون له الكلمة العليا فينا. وقد علَّمنا المسيح أن نصلي: «ليتقدَّس اسمك، ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك» (مت 6: 9، 10). والمقصود أن نقدِّس نحن اسمه بالعبادة، وأن يأتي ملكوته في حياتنا بخضوعنا له، فيتحقق معنا قول القديس أغسطينوس: «عندما تفعل مشيئة الله كأنها مشيئتك، يفعل الله مشيئتك كأنها مشيئته».

ويطلب المرنم أن نسجد عند موطئ قدميه. وقد فهم بنو إسرائيل أن موطئ قدمي الرب هو تابوت العهد داخل قدس الأقداس، فقد قال داود لرؤساء شعبه: «كان قلبي أن أبني بيت قرارٍ لتابوت عهد الرب، ولموطئ قدمي إلهنا» (1أي 28: 2). وهذا يعني أن المرنم يطالبنا بالسجود في بيت الله المقدس.. وموطئ قدمي الله هو الأرض كلها، كما قال الرب: «السماوات كرسيي، والأرض موطئ قدميَّ» (إش 66: 1). ويريدنا المرنم أن نعتبر الأرض كلها مكان سجود وعبادة، فلا نكتفي بشكر الله وحمده في مكان العبادة، بل حيثما نكون ونوجد.

يملك الرب بالبر لأنه «قدوسٌ هو». وعندما تدعوه كما صلى العشار: «اللهمَّ ارحمني أنا الخاطي» تنزل إلى بيتك مبرراً (لو 18: 13). فإن اعترفنا له بخطايانا ننال نعمة الغفران، فيباركنا ويجعلنا بركة. فلنسجد عند موطئ قدميه كخطاة نحتاج إلى الرحمة، وكمساكين بالروح تخلو أيدينا من أي صلاح، فنخضع له معترفين بعدم استحقاقنا، فينعِم علينا بعطاياه السماوية.

ثالثاً ـ مظاهر مُلك الرب

(آيات 6-9)

في هذه الآيات الأربع يذكر المرنم أن مُلك الله ظهر في الماضي في حياة المؤمنين، الذين صلّوا للرب وأطاعوه.. وظهر في تعاملاته مع هؤلاء المؤمنين، فاستجاب لهم، وغفر خطاياهم، وفي محبةٍ عاقبهم على ذنوبهم ليردَّهم إليه، فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟ (عب 12: 7).. ثم يطالبنا المرنم اليوم أن نعلّي اسم الرب وأن نسجد له.

1- يظهر مُلكه في ما فعله المؤمنون قديماً: (آيتا 6، 7).

(أ) المؤمنون قديماً صلّوا له : «موسى وهارون بين كهنته، وصموئيل بين الذين يدعون باسمه. دعوا الرب وهو استجاب لهم» (آية 6). يذكر المرنم ثلاث شخصيات عظيمة، هي موسى وهارون وصموئيل: موسى الذي هجر عظمة مصر وفضَّل أن يُذلَّ مع شعب الله فجعله الله كاهناً، واستخدمه جسراً يعبر به الناس إلى الله، كما أنه كان بوعظه يكلِّم الشعب عن الله، وبصلواته يكلم الله عن الشعب. ولو أن موسى بقي في مصر أميراً لأصبح ملكاً، ولانتهى أمره بأن يرى الزائرون جثَّته ترقد

محنَّطةً في المتحف المصري في ميدان التحرير بالقاهرة. ولكنه فضَّل أن يطيع الله وقاد شعبه في الخروج، ورفع صلواته لأجلهم فنصرهم الله وغفر لهم. وقد صلى موسى لأجل شعبه أثناء الحرب مع عماليق، و«كان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا (هارون وحور) حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وحور يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع عماليق وقومه بحدّ السيف» (خر 17: 11–13). وغفر الله لشعبه بسبب صلوات موسى عندما أخطأوا وعبدوا العجل (خر 32: 30–32 وتث 9: 18–21). وغفر لهم الله مرة أخرى لما لم يصدِّقوا وعود الله وصدَّقوا تقرير الجواسيس العشرة أنهم لا يقدرون أن يمتلكوا الأرض (عد 14: 13–15).

والشخص الثاني الذي يذكره المرنم هو هارون شقيق موسى، الذي اختاره الله ونسله ليكونوا كهنة شعبه، وقد استجاب الله لصلاة هارون يوم ثار الشعب عليه وعلى موسى بقيادة قورح، فأرسل الرب وبأً ليهلك الشعب، فأسرع هارون وأخذ المجمرة ووضع فيها ناراً من على مذبح الرب، ووضع بخوراً، وركض إلى وسط الشعب وكفَّر عنهم، ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوبأ (عد 16: 41–50).

والشخص الثالث الذي يذكره المرنم هو صموئيل، وهو ابن الصلاة، فقد أعطاه الله لأمه العاقر لما صلَّت في هيكل الرب ليعطيها الله نسلاً، فاستجاب لها، فقالت: «لأجل هذا الصبي صلَّيت، فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لدُنْهُ» (1صم 1: 27). وهو الذي ناداه الله في الهيكل وهو بعد صبي، فأجاب: «تكلَّم يا رب لأن عبدك سامع» (1صم 3: 10). وهو الذي قال لشعبه: «حاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكفَّ عن الصلاة من أجلكم، بل أعلّمكم الطريق الصالح المستقيم» (1صم 12: 23). وعندما تضايق الشعب من أعدائه طلبوا من صموئيل أن لا يكفَّ عن الصلاة لأجلهم «فصرخ صموئيل إلى الرب من أجل بني إسرائيل، فاستجاب له الرب» (1صم 7: 9).

(ب) المؤمنون قديماً أطاعوه : «بعمود السحاب كلَّمهم. حفظوا شهاداته والفريضة التي أعطاهم» (آية 7). كلَّم الله شعبه في عمود سحاب، ليؤكد لهم بطريقة مرئيَّة واضحة لا تُنسى أنه في وسطهم، يحميهم ويرعاهم، فانتبهوا للمحبة الإلهية الكاملة، وتجاوبوا معها، وحفظوا شهاداته التي تشهد عليهم، والتي كتبها الرب على لوحي الحجر، وحُفظت في تابوت العهد لأنها عهدٌ بينه وبين شعبه، يشهد عليهم وعلى أعمالهم وعلى إيمانهم و«طوبى لحافظي شهاداته» (مز 119: 2). وحفظوا الفريضة التي أعطاهم، وهي أمر تسنده سلطة، فيقول الابن لأبيه: «علِّمني فرائضك» (مز 119: 12) لأن الأب يضع لبيته قوانينه وفرائضه لسلامة أفراده ولخير أولاده ولتقدُّم الأسرة.

2- يظهر مُلكه في ما فعله هو: (آية 8).

(أ) استجاب لهم: «أيها الرب إلهُنا أنت استجبتَ لهم» (آية 8أ) صحيح الرب هو سامع الصلاة الذي يأتي إليه كل بشر (مز 65: 2) أما شعبه فينال منه رعايةً خاصة، فسمعناه يقول: «إني رأيتُ مذلَّة شعبي في مصر، وسمعتُ صراخهم من أجل مسخّريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلتُ لأُنقذهم» (خر 3: 7، 8). وقال للملك حزقيا: «قد سمعتُ صلاتك. قد رأيتُ دموعك. هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة» (إش 38: 5).

(ب) غفر لهم: «إلهاً غفوراً كنت لهم» (آية 8ب). «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (1يو 1: 9). قد يقول شخص: لا أمل لي في أن يقبلني الرب لأن خطاياي كثيرة جداً. لكن عليه أن يفكر في اللص المصلوب الذي كان يجدِّف على المسيح، ولكن الرب فتح عينيه ليرى أن المصلوب في الوسط هو ملكٌ صاحب مملكة يقدر أن يُدخِل إليها من يشاء، فقال له: «اذكُرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» فجاءته الإجابة الفورية: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو 23: 42، 43). إن ذنب الخاطئ عظيم لكن عفو الرب أعظم. فلا يجب أن نؤجل التوبة. «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (2كو 6: 2).

(ج) عاقبهم: «ومنتقماً على أفعالهم» (آية 8ج). الرحمة لمن يقبل الرحمة، والعقاب لمن يرفضها. الذي يقبل الخلاص يتمتع بكل فوائده، والذي يرفضه يعرِّض نفسه لأعظم خطر. «مخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب 10: 31). دعونا ندخل فُلك النجاة كما فعل نوح، وفلك نجاتنا هو المسيح الذي جهَّز لنا الفداء والكفارة بصليب محبته. وعدم دخولنا فلك النجاة يعني هلاكنا، حتى إن كنا نظن أننا أطول الناس في القامة الروحية، وأن كانت بيوتنا الروحية أعلى البيوت، لأنه «ليس بأحدٍ غيرهِ الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطيَ بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع 4: 12).

3 - يظهر مُلكه في ما يجب أن يفعله المؤمنون اليوم: (آية 9).

(أ) يجب أن يعلّوه: «علّوا الرب إلهنا» (آية 9أ). يكرر المرنم هنا ما سبق أن أمر به في الآية الخامسة، وهو ما يجب أن يفعله المؤمنون دائماً.

(ب) يجب أن يسجدوا له: «اسجدوا في جبل قدسه، لأن الرب إلهنا قدوس» (آية 9ب). السجود هو إخضاع الإرادة للرب، والانحناء أمامه في محبة. وكل من ينحني أمامه يختبر جمال الحياة معه. «القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (مز 51: 17). وعندما يكون السجود في جبل الله المقدس تتقدَّس حياة العابد ويتطهَّر سلوكه. كان على الكهنة قبل دخولهم إلى القدس أن يمروا أولاً بالمرحضة ليغتسلوا (خر 40: 30–32). وكان هذا التطهير الطقسي يرمز إلى ضرورة نقاوة القلب، كما طلب داود: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي» (مز 51: 10). و«طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله» (مت 5: 8). وعندما نصعد إلى جبل قدس الرب ونتعبَّد له، تلمع وجوهنا بالفرح، كما كان جلد وجه موسى يلمع بسبب وجوده في محضر الله (خر 34: 29)، وقد قال المسيح: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلَّمتكم به.. لا أعود أسمّيكم عبيداً.. لكني قد سمّيتكم أحباء لأني أعلمتُكم بكل ما سمعته من أبي» (يو 15: 3، 15).

«الرب قد ملك.. علّوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه.. لأن الرب إلهنا قدوس».

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ

مَزْمُورُ حَمْدٍ

1 اِهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. 2اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرَنُّمٍ. 3اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا، وَلَهُ نَحْنُ، شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ. 4ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ بِحَمْدٍ، دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ. احْمَدُوهُ، بَارِكُوا اسْمَهُ، 5لأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ. إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ، وَإِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُهُ.

دعوة مكرَّرة للحمد

هذا المزمور خاتمة مجموعة مزامير التسبيح للرب الملك، كما أنه ذروتها. فيه يكرر المرنم الدعوة مرتين إلى كل الشعوب ليشتركوا مع بني إسرائيل في تسبيح الرب الإله الحقيقي وحده، الذي أرجع شعبه من سبي بابل، فلا بد أن تتحقَّق النبوَّة: «أبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه، وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيداً.. آتي بهم إلى جبل قُدسي، وأفرِّحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيتَ الصلاة يُدعى لكل الشعوب» (إش 56: 6، 7).

كان هذا المزمور يُرنَّم عادة بمناسبة تقديم ذبيحة الشكر، التي يقول عنها سفر اللاويين: «وهذه شريعة ذبيحة السلامة التي يقرِّبها للرب.. لأجل الشكر.. وإن كانت ذبيحةُ قربانه نذراً، أو نافلة» (لا 7: 11–21). فعندما يكرم الرب المؤمن ويمنحه بركة أكبر مما ينتظر، يعبِّر عن شكره بتقديم ذبيحة السلامة حمداً وتسبيحاً للرب، ويرنم أثناء تقديمها كلمات هذا المزمور، فالرب هو «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة إلى جميع أجيال دهر الدهور» (أف 3: 20، 21).. وعندما ينذر المؤمن نذراً ويعطيه الرب طلبه، كان يقدم للرب ما نذر به، ويرنم معه كلمات هذا المزمور.. وعندما يريد المؤمن أن يقدِّم للرب نافلةً، بمعنى قربان أو ذبيحة تطوعية واختيارية، لأنه يحب الرب، كان يقدم نافلته ويرنم معها كلمات هذا المزمور.

فتعالوا نشارك صاحب المزمور في الترنيم للرب الملك لأننا نريد أن نشكره قائلين: «باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز 103: 1، 2). لقد لمس حياتنا آلاف اللمسات الرقيقة. حتى في وقت تأديبه لنا لنشكُره قائلين: «تأديباً أدَّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز 118: 18) لأنه في تأديبه يريد أن يحيينا ويردَّ لنا حياة القُرب منه. وهو يستخدم الظروف الصعبة لبركة نفوسنا، وعائلاتنا، وكنيستنا. تجيئنا بركته مرات داخل مظروف أبيض يفرحنا، كما تجيئنا أحياناً داخل مظروف أسود. فلا تتوقَّفوا عند الغلاف الخارجي، بل افتحوا رسالته واقرأوها شاكرين، وستجدونها تؤكد لنا من جديد أن الله محبة، ومحبته صافية صادقة عجيبة، لأنها من النبع الذي لا ينضب. إنه «لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، فكيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو 8: 32). فلنقدِّم لله «ذبيحة التسبيح» (عب 13: 15)، وفي نضوج روحي لنقُل له: أسلِّمك نفسي، فباركني كيفما تشاء. «لأنك أنت تبارك الصدِّيق يا رب. كأنه بترسٍ تحيطه بالرضى» (مز 5: 12). نحن لا نعيش ظروف الحياة وحدنا، لكننا نعيش في المسيح وسط الظروف، ولنا فيه الحماية الكاملة. فلنشترك مع مقدِّم ذبيحة السلامة في تقديم ذبيحة شكر اختيارية، مرنمين هذا المزمور، معترفين بفضل الله علينا.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة أولى مسبَّبة للحمد (آيات 1–3)

ثانياً – دعوة ثانية مسبَّبة للحمد (آيتا 4، 5)

أولاً ـ دعوة أولى مسبَّبة للحمد
(آيات 1-3)

1- الدعوة الأولى للحمد: (آيتا 1، 2).

(أ) هي دعوة للجميع: «اهتفي للرب يا كل الأرض» (آية 1). هذه دعوة عامة للبشر جميعاً ولمحبي الرب خصوصاً ليهتفوا للرب الملك شكراً وحمداً. بعضنا يمرُّ بظروف قاسية أو فشل، وبعضنا يمر بظروف مفرحة أو نجاح. والنجاح لا يستمر وكذلك الفشل، فنحن نعيش في عالم يتغيَّر باستمرار. لكن صلتنا بالرب يجب أن تستمر وتتعمَّق، لأنها لا تتوقَّف على

ظروفنا، بل على علاقتنا به وعلى محبتنا له. وبقدر عمق علاقتنا به واستمرارها يكون هتافنا له وشكرنا لجلاله. فلنحب الرب بكل قلوبنا، لننال لقب سبط بنيامين: «حبيب الرب» (تث 33: 12)، ولقب «يديديا» (2صم 12: 25) ومعناه «محبوب الرب» وهو اللقب الذي أطلقه ناثان النبي بأمرٍ إلهي على الملك سليمان، ولقب «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (يو 20: 2) الذي أُطلق على تلميذ المسيح يوحنا. فليكن شعارنا: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (1يو 4: 19). ولنهتف للرب، وندعو كل الأرض لتشاركنا في هذا الهتاف.

(ب) هي دعوة للفرح: «اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنُّم» (آية 2). تتميز عبادتنا بالترتيل والترنيم والتسبيح الفرحان، الذي تصاحبه الموسيقى، لأن الوحي يأمرنا: «لتسكُن فيكم كلمة المسيح بغِنى، وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومُنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانيَّ روحية مترنِّمين في قلوبكم للرب» (كو 3: 16). وإلهنا إله الفرح، وقد شبَّه المسيح ملكوت الله بوليمة عرس (مت 22: 1–14)، كما أجرى أولى معجزاته في حفل عرسٍ بقانا الجليل (يو 2: 1–11).. وضرب لنا مثل الابن الضال الذي رجع إلى نفسه وإلى أبيه، وفي هذا المثل صوَّر المسيح لنا فرح السماء والأرض بالخاطئ الواحد الذي تاب. لم يكن الابن الضال متأكداً من قبول أبيه له، لأنه كان يشعر بعدم الاستحقاق. وكم فرح بقبول أبيه له، وكم فرح الأب بعودة الابن، كما فرح العبيد الذين جهَّزوا الوليمة، وفرح الأصدقاء الذين دُعوا للوليمة لأن الابتسامة عادت إلى وجه الأب الحزين بعد رجوع ابنه (لو 15). وكل من يذكر أنه للمسيح يرنم: «ما أبهج اليوم الذي آمنتُ فيه بالمسيح!». قد يذكر بعضنا يوماً محدَّداً تاب فيه ونال الحياة الجديدة، وقد لا يكون عند بعضنا يوم محدد يعرفه، لكن على كل واحد منا أن يتأكد أن المسيح دخل قلبه واستلم حياته، فنسبِّح لله إله الغفران الذي يعمِّر قلوبنا بالفرح، فنقول: «فرحاً أفرح بالرب، تبتهج نفسي بإلهي. لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر» (إش 61: 10).

2 - سبب الدعوة الأولى للحمد: (آية 3).

(أ) نحمده لأنه الله: «اعلموا أن الرب هو الله» (آية 3أ). دعا المرنم كل سكان الأرض ليعرفوا من هو الرب الخالق المالك فيطيعونه ويحبونه، وإذ يعرفونه حقَّ معرفته يرنمون له، لأنه مستحقٌّ أن يأخذ «المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقتَ كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ 4: 11). ومع ذلك فما أكثر ما يضل الإنسان عن معرفة الله! غير أن الله في محبته يردُّ الضال إلى سبُل البر من أجل اسمه (مز 23: 3). لقد ضلَّ بنو إسرائيل في زمن موسى وعبدوا العجل الذهبي، فردَّهم الرب إلى الصواب (خر 32). وفي زمن النبي إيليا عبدوا البعل، إله البلاد المحيطة بهم، فتحدَّى النبي إيليا صنمهم، وأظهر الله قوته بأن أنزل النار على ذبيحة النبي إيليا، فصرخ الشعب قائلين: «الرب هو الله. الرب هو الله» (1مل 18: 21–39).. فلنتأكد أن الرب هو الإله الذي يمسك بزمام كل الأمور. قال بيلاطس للمسيح: «ألستَ تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» فأجابه: «لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو 19: 10، 11). لقد ظن بيلاطس وهو يعتلي عرش الولاية أنه صاحب سلطان، لكن صاحب السلطان الحقيقي هو المسيح الذي ارتضى أن يقف أمام بيلاطس ليبدأ السير في طريق الآلام نحو الصليب ليتمِّم الفداء العجيب، وهو الذي قال: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت 28: 18).

(ب) نحمده لأنه الخالق: «هو صنعنا» (آية 3 ب). «الرب صنع الكل لغرضه» (أم 16: 4). صنع كل شيء من لا شيء، دون أن يعاونه أحد، وهو يحفظ كل خليقته بكلمة أمره. صنعنا لما جَبَل آدم أبانا الأول تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسَمة حياة، فصار آدم نفساً حية (تك 2: 7) ثم خلق حواء معينةً له من أحد أضلاعه. ولكن الخطية دخلت إلى العالم فأفسدت براءة الخلق الأول، وعرَّت أبوينا الأولين وأخجلتهما، فستر الله الإنسان العاري، وأعاد خلقه فصار خليقة جديدة «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف 2: 10). لأنه «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (2كو 5: 17). وهذا ما يدعوه المسيح «الولادة من فوق« و«الولادة من الماء والروح» (يو 3: 3، 5). ولذلك يصلي كل مؤمن ويقول: أشكرك يا رب لأنك خلقتني مرتين، الخلق الجسدي، لأن «المولود من الجسد جسد هو»، والخلق الروحي لأن «المولود من الروح هو روح» (يو 3: 6). ويقول هذا الخالق العظيم لكل مؤمن: «لا تخف لأني فديتُك. دعوتك باسمك. أنت لي» (إش 43: 1)، فتمتلئ قلوبنا بالفرح والتسبيح للرب لأننا افتُدينا فداءً عجيباً بدم المسيح الثمين.

(ج) نحمده لأنه الراعي: «وله نحن، شعبه، وغنم مرعاه» (آية 3ج). لسنا لأنفسنا لأنه خالقنا، ولغيره سبحانه لن نكون «كل من دُعي باسمي ولمجدي خلقته وجبلته وصنعته» (إش 43: 7). ونحن ملكه بحكم فدائه لنا «لستُم لأنفسكم، لأنكم اشتُريتُم بثمن. فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (1كو 6: 19، 20). ونحن له لأنه ملكنا الذي أعطانا شريعته لنحيا بحسبها. ونحن له لأنه قاضينا الذي سنقف أمامه لنقدِّم حساباً عما فعلنا. وهو راعينا العظيم الذي فتش عنا في ضلالنا حتى

وجدنا وردَّنا إليه. لذلك يقول المؤمن: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» (مز 23: 1) لأن المسيح يقول: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو 10: 11). ويقول الرسول بطرس: «كنتُم كخرافٍ ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» (1بط 2: 25)، فالمسيح هو الراعي والأسقف، يعني أنه الناظر الذي يراقب قطيعه، فإذا ضل أحدها أو جاع أو مَرِض يراه ويسعفه.

ثانياً ـ دعوة ثانية مسبَّبة للحمد
(آيتا 4، 5)

1 ـ الدعوة الثانية للحمد: «ادخلوا أبوابه بحمد، ديارِه بالتسبيح. احمدوه. باركوا اسمه» (آية 4). يدعو المرنم الناس جميعاً ليدخلوا بيت الرب الذي لا يُغلق في وجه أحد. فليدخلوه وقد امتلأت نفوسهم بالحمد والتسبيح، وليحمدوا الله ويباركوا اسمه، وهم يهتفون: «فرحتُ بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز 122: 1).

2 ـ سبب الدعوة الثانية للحمد: (آية 5).

(أ) نحمده لأنه صالح: «لأن الرب صالح» (آية 5أ). ورد القول «لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته» 36 مرة في الكتاب المقدس (26 مرة في مزمور 136، كما وردت في 1أي 16: 34 و2أي 5: 13 و7: 3، عز 3: 11 ومز 100: 5 و106: 1 و107: 1 و118: 1، 29 وإر 33: 11). الله محبة، وهو كريم مُنعمٌ سخيٌّ، لا يخطئ أبداً في أي عمل يقوم به أو يسمح به، فكل أعماله من أجل محبّيه صالحة. عرفتُ سيدة كندية من أصل يوناني تزوجت مصرياً هاجر إلى كندا، وسافرا إلى المملكة السعودية للعمل بها. وهناك تعرَّفا على شاب مصري استخدمه الله ليقودهما كليهما لمعرفة المسيح معرفة خلاصية، فسلَّما حياتيهما للمسيح. وعندما انتهت فترة عمل الزوجين قررا أن يتوقَّفا بالقاهرة، ثم أثينا، ليكلِّما أهلهما عن الخلاص بالفداء، حتى يفرح الجميع بأن تكون لهم العلاقة الحية مع المسيح. وبارك الله خدمتهما في القاهرة وأثينا، وعادا إلى كندا فرحانين. وفجأة مرض الزوج ومات تاركاً أولاده الصغار في رعاية الأرملة، التي وجدت عزاءها في أن زوجها انطلق ليكون مع الرب وهو يقول: «لي اشتهاءٌ أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً» (في 1: 23). وعندما كتبتُ لها معزِّياً جاوبَتني بأن الرب صالحٌ ولا يخطئ أبداً، وأنه في حكمته ومحبته أخذ زوجها ليكون معه في المجد. هذا اختبار حقيقي لعمل نعمة الله التي تسند وسط أصعب الظروف.. ليست كلمات الإنجيل وعوداً جوفاء، ولا هي مخدراً وأفيوناً للشعوب، لكنها حقائق مُعاشة تعلن لنا صلاح الرب. «احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح، لأن إلى الأبد رحمته. صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب» (إر 33: 10، 11).

(ب) نحمده لأنه رحيم: «إلى الأبد رحمته» (آية 5ب). وورد القول «إلى الأبد رحمته» خمس مرات (1أي 16: 41 و2أي 7: 6 و20: 21 ومز 118: 3، 4). ورحمته دائمة يختبرها الأبناء كما اختبرها الآباء. ولو كانت رحمته مؤقَّتة لكنا هلكنا ومُتنا بسبب كثرة أخطائنا، لكن روعة الرحمة الإلهية أنها تنبع من قلب كله رحمة، لا يأتي إلا بأعمال الرحمة التي لا تتوقف أبداً. فلنطمئن إلى مراحم الله، لأنها إلى الأبد.

وما أعظم الرحمة الإلهية لو قارنّاها برحمة البشر لبعضهم. ولنضرب مثلاً لذلك نقول إنه أثناء رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى كان معه برنابا ومرقس. وفي منتصف الطريق ترك مرقس خدمته معهما ورجع إلى بيته في أورشليم حيث الراحة والأمن. ولما قرَّر الرسول بولس أن يقوم برحلته التبشيرية الثانية رفض أن يصحب مرقس معه، بحُجَّة أن «الذي فارقهما ولم يذهب معهما للعمل، لا يأخذانه معهما». وكان عادلاً في رفضه. ولكن برنابا، خال مرقس، كان رحيماً بابن أخته، وقرر أن يصحب ابن أخته في رحلة تبشيرية ثانية.. كان برنابا رحيماً بمرقس، وكان مثالياً في تشجيع الضعفاء، فأطلقوا عليه لقب «ابن الوعظ» أي ابن التشجيع (أع 12: 25 و13: 5، 13 و15: 36–41). وظهرت عدالة الرسول بولس مرة أخرى في حكمه على مرقس، بعد بضعة سنوات، لما رأى جدِّية خدمة مرقس، فطلب حضوره ليخدم معه، لأنه نافعٌ لخدمة الرب (2تي 4: 11). وكم نشكر الله من أجل رحمته ومحبته، لأنه يسامحنا، ويمنحنا فرصة ثانية، وينسى أخطاءنا، ويقول: «أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها» (إش 43: 25).

(ج) نحمده لأنه أمين: «إلى دورٍ فدور أمانته» (آية 5ج). الرب أزلي أبدي لا بداية أيام له ولا نهاية حياة. وأمانته تلازمه دائماً «فاعلم أن الرب إلهك هو الله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث 7: 9).

وتظهر أمانة الله معنا في مغفرة خطايانا، فإنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (1يو 1: 9).. كما تظهر أمانته في وقت تجاربنا، فإن «الله أمين الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع

التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (1كو 10: 13).. وتظهر أمانته أيضاً في أنه ثبَّت إيماننا، فإنه «أمين هو الرب الـذي سيثبِّتكم ويحفظكم من الشرير» (2تس 3: 3). ويبقى الرب أميناً لشعبه مهما كانوا غير أمناء (2تـي 2: 13). فلنجتهـد أن نكـون أمناء، وأن تستمر أماننتا له، لنسمع صوته: «نعِمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخُـل إلـى فرح سيدك» (مت 25: 23).